**دراسات**، علوم الشريعة والقانون، المجلّد 32، العدد 2، 2005

# الإلهام في الميزان النقدي عند المحدثين

*طارق أسعد حلمي الأسعد**

## ملخص

تعنى هذه الدراسة بالبحث في موضوع الحكم على الحديث من حيث قبوله أو رده، من جهة الإلهام القلبي، الذي لم يعده أهل الحديث في اساليب النقد المصطلح عليها، وإنما عدوه نوعاً من التفوق في الأداء النقدي لدى الحذاق من صيارفة الحديث كالإمام أحمد وأبي زرعة الرازي وعلي بن المديني وغيرهم، ولذا فالمأمول في هذه المحاولة البحثية فصل هذا النوع من الإلهام القائم على أساس الخبرة والممارسة النقدية الواسعة، عن الإلهام الذي يقول به من يسمون أهل الكشف والعارفون من الخاصة من العلماء، ثم تقوم هذه الدراسة على تقويم ظاهرة الإلهام في مراحلها التي يتكون معها العمل القلبي المحض، ثم ما يكون من الحكم على المعقولات والمنقولات، ومنها الأحاديث النبوية، دونما مراعاة للقواعد النقدية في الدراية والرواية عند المحدثين.

## المقدمـــة

وردت الشريعة بمسوغات للاجتهاد في التحقيق والنظر، وجعلت الأصل فيما يعتبر من هذه المسوغات، ما يفتقر إليه تحصيل البيان المناسب في محل النزاع، فليس الاجتهاد في معزل عن مسوغاته – التي يتسع لها موضع الخلاف والنظر-، فهو مغياً بغاياته، بل تتعين الحاجة إليه بقدر ما يغيب تحقيقه وجلاء أمره في فروع الشريعة بعامة.

وكان من أوسع الأبواب التي تعينت الحاجة فيها إلى الاجتهاد، أبواب النقد عند المحدثين، وذلك من حيث ما امتثله علم مصطلح الحديث في إحكامه صيغاً وكليات عِنِيتْ برواية الحديث وحفظه، ونقد المرويات، وميزان معايير التوثيق في الرواة، وضبط أوصاف القبول والرد فيهم، وبخاصة عند ظهور ما تسبب عنه الوضع في الحديث من الفتنة وشيوع الفرق والمذاهب، فلا يكاد يفوت ناقد مقوم المتغيرات التي استحالت معها ظروف الثقة المعتبرة اصالةً في الرواة، مما تعين معه أن تنفر هذه الطائفة من المحدثين وجهابذة النقاد وحذاقهم؛ فيصطلحوا على قواعد هذا العلم، ويتحروا إنزال هذه القواعد على أسانيد الأحاديث ومتونها بالفحص عن أحوال رواتها ونقد مروياتهم، فكان أن صار علم الحديث بقواعده الاصطلاحية المعصومة هو الآلة التي تعصم مراعاتها من الكذب على النبي صلى الله عليه وسلم، أو الخطأ في الرواية عنه(*).

أخرج مسلم في مقدمة صحيحه والترمذي في علل الجامع عن محمد بن سيرين أنه قال: (لم يكونوا يسألون عن الاسناد، فلما وقعت الفتنة، قالوا سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم).(1)

فالمتتبع لمجريات النقد الحديثي، يجد أن الاجتهاد الذي أحكمت مواثيقه أبواب السنة، لم تخرج واحدة من قواعده عن الحدود الاصطلاحية التي نص الأئمة عليها، فما شذت واردة عن عالم من علماء الحديث، إلا استحالت قولاً قد بسط القوم النظر فيه، والحكم عليه، ودونوا ذلك في مصنفاتهم، وإن مما حصل فيه ومن جهته شذوذ في القول، وتوسع في التصرف والرأي، الحكم على الحديث من قبل من لم ترعه وتمنعه قواعد أهل الحديث وأصولهم الاصطلاحية، فنهجوا في أحكامهم على الروايات ما لا أصل لهم فيه، ولم يعولوا فيما استندوا إليه إلا على أنفسهم، فأغربوا القول بما سلكوه من طرائق سموا بعضها العقل، وسموا غير ذلك الكشف والإلهام والوجدان، وادعوا أن هذه المقامات الوجدانية النفسانية هي الملكات الناهضة وحدها بالحكم على الحديث، وأن غيرها من وسائل النقد الحديثي، إنما هي متعلقة بعلوم الظاهر التي لا قِبلَ لأهلها بالخوض في علوم الباطن التي هي- على حد تعبيرهم – الأساس في الحقيقة.

والحاجة إلى نقد ظاهرة الإلهام في الحكم على الروايات، مردها أن هناك صوراً وحالات من الإلهام المقبول المبني على أساس من التفوق في الأداء النقدي عند من بلغ النهاية

---

* قسم العلوم الانسانية والاجتماعية، كلية العلوم والآداب، الجامعة الهاشمية، الزرقاء، الأردن. تاريخ استلام البحث 2003/10/20، وتاريخ قبوله 2004/5/27.

في الإمامة والحفظ، فمن بلغ مبلغ هؤلاء لا ينكر عليه ابتداع اصطلاح يختص به، أو رؤيته في الحديث ما يميل قلبه عنه، فهؤلاء الأئمة حصلت لهم بكثرة محاولة ألفاظ النبي صلى الله عليه وسلم هيئة نفسية وملكة يعرفون بها ما يجوز أن يكون من ألفاظه وما لا يجوز، ويحكمون من خلال هذه المعرفة على الروايات، دونما تصريح بعلة أسعدهم تحريها؛ فوقفوا عليها، ويستعملون في التعبير عن هذه المعرفة الظنية للعلة عبارة [حديث فلان أشبه، أو أشبه بالصواب، أو هذا الحديث يشبه حديث القصاص، وغير ذلك].

قال الحافظ ابن رجب في شرحه علل الترمذي رحمه الله تعالى: (حذاق النقاد من الحفاظ لكثرة ممارستهم للحديث، ومعرفتهم بالرجال وأحاديث كل واحد منهم، لهم فهم خاص يفهمون به أن هذا الحديث يشبه حديث فلان، ولا يشبه حديث فلان؛ فيعللون الأحاديث بذلك، وهذا مما لا يعبر عنه بعبارة تحصره، وإنما يرجع فيه أهله إلى مجرد الفهم والمعرفة، التي خصوا بها عن سائر اهل العلم...)(2). وقد مثل ابن رجب رحمه الله لذلك بقوله: (قال البرذعي: قال لي أبو زرعة خالد بن يزيد المصري، وسعيد بن أبي هلال صدوقان، وربما وقع في قلبي من حسن حديثهما، قال: وقال لي أبو حاتم: أخاف أن يكون بعضها مراسيل عن ابن أبي فروة وابن سمعان، ... قال ابن رجب: ومعنى ذلك أنه عرض حديثهما على حديث ابن أبي فروة وابن سمعان، فوجده يشبهه ولا يشبه حديث الثقات الذين يحدثان عنهم، فخاف أن يكونا أخذا حديث ابن أبي فروة وابن سمعان ودلساه عن شيوخهما)(3).

وفي مقابل بيان هذه الممارسة الاجتهادية المنضبطة من المعرفة الإلهامية القلبية المبنية على نوع من تأثر القلب وتفاعله مع الروايات، المؤصلة بقواعد نقدية دقيقة في مسلكها، يلزمنا أن نحقق القول فيما أشرنا إليه من ذلك الإلهام وغيره من المقامات الوجدانية والتصرفات النفسية كدعوى رؤية النبي صلى الله عليه وسلم يقظة، وفي ذلك نقل عن بعض الأئمة من المتصوفة ما حاصله: (أنه قد يكون حديث صحيح من طريق رواته، يحصل للمكاشَف أنه غير صحيح لسؤاله لرسوله صلى الله عليه وسلم، فيعلم وضعه ويترك العمل به، وإن عمل به أهل النقل لصحة طريقه، ويكون حديث ترك العمل به لضعف طريقه من أجل وضاع في رواته يكون صحيحاً في نفس الأمر لسماع المكاشف له من الروح حين القائه على رسول الله صلى الله عليه وسلم).(4)

وبعد، فالمقصود إليه من هذه الدراسة هو أن نتبين – وفق مقتضيات البحث النقدي المجرد – حقيقة ما ذهب إليه بعض علماء التصوف وأهل السلوك وآخرون، فنعرف الهدى ونتخذه وسيلة مرضية نحكم بها، متسلحين بعلم الأئمة من أهل الحديث المعتد بهم، والمقتدى بهديهم النقدي ورسوخ نظرهم، وأصالة مناهجهم ونبطل أصالة الاستناد إلى غير قواعد المحدثين وأصولهم الاصطلاحية في إثبات الحديث أو رده.

وقد جعلت هذه الدراسة في المباحث الآتية:

**المبحث الأول: تعريف الإلهام وما في معناه من المعارف القلبية.**

**المبحث الثاني: مكانة المعرفة القلبية الحاصلة بالإلهام في الحكم على المعقولات عند أهل السنة .**

**المبحث الثالث: الحكم على الحديث من جهة الإلهام عند المحدثين.**

## المبحث الأول

## تعريف الإلهام وما في معناه من المعارف القلبية

أصل المصدر (إلهام) من الثلاثي لَهِم، ومن معانيه (ابتلاعك الشيء بمرةٍ) ويقال: ألهمه الله تعالى خيراً أي لقّنه خيراً، ومنه جيش لهام، يغتمر من يدخله أي يغيب ما في وسطه، وقال الأصمعي: إبل لهاميم إذا كانت غزاراً، واحدتها لهموم، وكذلك إذا كانت كثيرة الشيء، ويقال، ألهم الله فلاناً الرشد إلهاماً إذا ألقاه في روعه فتلقاه بفهمه.(5)

وقال الجرجاني في تعريفاته: (الإلهام: ما يلقى في الروع بطريقة الفيض، وقيل: الإلهام ما وقع في القلب من علم وهو يدعو إلى العمل من غير استدلال ولا نظر في حجة، وهو ليس بحجة عند العلماء إلا عند الصوفيين ).(6)

وهو في حده العام (إيقاع شيء في قلب العاقل يفضي إلى العمل به، ويحمله عليه، ويميل قلبه إليه، حقاً كان أو باطلاً، قال الله تعالى: (فألهمها فجورها وتقواها) (الشمس، الآية 8)، وذلك قد يكون بواسطة الشيطان وهوى النفس، فيسمى وسوسة، وأما في العرف، فيستعمل فيما يقع في القلب بطريق الحق دون الباطل، ويدعوه إلى مباشرة الخيرات دون الشهوات والأماني).(7)

وأما حده في مصطلح الأصوليين فهو: (ما حرك القلب بعلم يدعوك إلى العمل به من غير استدلال بآية ولا نظر في حجة )،(8) وقيل: (ما يخلق الله تعالى في قلب المؤمن العاقل من العلم الضروري الداعي له إلى العمل المرغوب فيه).(9)

ويكثر استعمال مصطلح الإلهام عند الصوفية، فهو عند الحكيم الترمذي: (طريق خارجي، وليس ذاتياً، لأن العارف يقوم فيه بدور المستقبل للمعاني التي يكتسبها بالرياضة والسلوك)،(10) وأما الغزالي فيرى أن الإلهام: (هجوم المعرفة على القلب على سبيل المبادأة والمكاشفة، بلا طريق الاكتساب وحيلة الدليل)،(11) ويشترك فيه عنده النبي والولي وإن كان الإلهام إلى النبي أعلى رتبة من الإلهام إلى الولي، ولكنهما تحصل لهما هذه المعارف جوداً وكرماً من الله تعالى، وهي غير مضنون بها على أحد، ولكن إنما تظهر في القلوب المتعرضة لنفحات رحمة الله، فإذا ما سار العبد في طريق العبادة ومحو الصفات المذمومة وقطع العلائق كلها، وأقبل على الله بكنه الهمة تولى الله القلب بمصادر المعرفة والعلم، ويرى الغزالي (أن علم المكاشفة هو غاية مقصد الطالبين ومطمع نظر الصديقين، وعلم المعاملة طريق إليه، ولم يتكلم فيه الأنبياء إلا بالرمز والإيماء على سبيل التمثيل والإجمال؛ علماً منهم بقصور أفهام الخلق عن الاحتمال، والعلماء ورثة الأنبياء فمالهم سبيل إلى العدول على نهج التأسي والاقتداء)(12)؛ فالملهمون من العلماء عند الغزالي هم الموصوفون بالمعارف اللدنية، والموهوبون مواجيد وواردات ترد على نفوسهم، تعجز قلوبهم عن ردها لاستحالتها صوراً من اليقين الذي هو أصل الطريق العبادية المفيدة للعلم الضروري المتكسب بالرياضة.

وقد ذكر صاحب الفتوحات المكية أن من المحدثين ملهمين، هم أعلى رتبة من عامة أهل النقل المشتغلين بالأسانيد وأحوال الرواة، وهم على ما يكلمهم الله به ملهمون بما يخاطبون في سرهم من حال الأحاديث والرواة ما هو محجوب عن النقاد الذين يشتغلون بقوانين علم مصطلح الحديث، ولذا يعمد هؤلاء الملهمون إلى خطاب غيرهم بالرموز والإيماءات، فيقبلون من الروايات ما يلهمون بقبوله، ويردون ما يلهمون برده، ومثل لذلك بقوله:

(ورد في الحديث الصحيح كشفاً،(13) غير الثابت نقلاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه جل وعز أنه قال ما هذا معناه: كنت كنزاً لم أعرف، فأحببتُ أن اعرف الخلق، وتعرفت إليهم فعرفوني).(14)

ونقل الشوكاني عن الماوردي والروياني أصل الخلاف في الإلهام من حيث الاستدلال به، وقال: (قد اتفق القائلون بأنه لا بد فيه من مستند إذا كان عن دلالة، واختلفوا فيما إذا كان عن أمارة، فقيل بالجواز مطلقاً، سواء كانت الأمارة جلية أو خفية)(15). وأضاف الشوكاني: (وحكى الماوردي والروياني في كتاب القضاء في حجية الإلهام خلافاً، وفرعا عليه أن الإجماع هل يجوز انعقاده لا عن دليل، وإلا فلا، قال الزركشي في البحر: وقد اختار جماعة من المتأخرين اعتماد الإلهام، منهم الإمام في تفسيره في أدلة القبلة وابن الصلاح في فتاواه وقالوا: الإلهام خاطر الحق من الحق، قال: ومن علامته أن ينشرح له الصدر ولا يعارضه معارض آخر، قال أبو علي التميمي في كتاب التذكرة في أصول الدين: ذهب بعض الصوفية إلى أن المعارف تقع اضطراراً للعباد على سبيل الإلهام بحكم وعد الله سبحانه وتعالى بشرط التقوى، واحتج بقوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً) (الأنفال، الآية 29) أي ما تفرقون به بين الحق والباطل، وقوله تعالى: (ومن يتق الله يجعل له مخرجا) (البقرة، الآية 282)؛ فهذه العلوم الدينية تحصل للعباد إذا زكت أنفسهم وسلمت قلوبهم لله تعالى بترك المنهيات وامتثال المأمورات)(16) وأضاف قائلاً: ثم إن من الوحي علوماً تحدث في النفوس الزكية المطمئنة، قال صلى الله عليه وسلم: (إن من أمتي المحدثين والمكلمين، وإن عمر لمنهم)(17)، وقال تعالى: (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها) (الشمس، الآية 8)، قال صاحب نهاية الغريب: (الملهم هو الذي يلقى في نفسه الشيء فيخبر به حدساً وفراسة، وهو نوع يخص به الله من يشاء من عباده، كأنهم حدثوا بشيء فقالوه).(18)

## المبحث الثاني

## مكانة المعرفة القلبية الحاصلة بالإلهام في الحكم على المعقولات عند أهل السنة

إن المعارف التي يغشاها القلب بإدراك يرى له، تسمى – من وجه – العقل، وهو صفة للعلوم التي محلها القلب، (فهو ذو مكانة كبيرة في المعرفة، لأنه شرف الإنسان وفضيلته التي فاق بها جملة من أصناف الخلق، باستعداده لمعرفة الله تعالى، وإنما استعد للمعرفة بقلبه، لا بجارحة من جوارحه، فالقلب هو العالِم بالله تعالى، وهو المتقرب إلى الله، وهو العامل لله، وهو المكاشَف بما عند الله تعالى)(19)، قال شيخ الإسلام رحمه الله: (القلب المعمور بالتقوى إذا رجح بمجرد رأيه فهو ترجيح شرعي، فمتى ما وقع عنده وحصل في قلبه ما يظن معه أن هذا الأمر أو هذا الكلام أرضى لله ورسوله صلى الله عليه وسلم، كان هذا ترجيحاً بدليل شرعي... وكلما قوي الإيمان في القلب، قوي انكشاف الأمور له، وعرف حقائقها من بواطلها، وكلما ضعف الإيمان ضعف الكشف).(20)

والمعرفة القلبية بالمعنى الرياضي،(21) التي يغشاها قلب

العابد والمتعاني لأبواب الذكر والفضيلة، ليست بدعاً من القول، بل هذه المعرفة التي هي شهادة القلب على المنظور فيه من الوقائع، هي جزء من تبعات الإرشاد النبوي للصحابة رضي الله عنهم، فهي في الميزان المعرفي للملهم من الصحابة لازمة من لوازم طول الصحبة أو تخلية القلب للحديث وروايته وتعليمه وإنزاله في محاله، وليس كل الصحابة رضي الله عنهم أهل نظر وإلهام، وكان منهم محدثون، ففي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: (قد كان في الأمم قبلكم محدثون، فإن يكن في أمتي أحد منهم فعمر).(22) قال شيخ الإسلام: (والمحدث: هو الملهم المخاطب في سره، وما قال عمر رضي الله عنه لشيء إني لأظنه كذا وكذا إلا كما ظن، وكانوا يرون أن السكينة(23) تنطق على قلبه ولسانه)(24)، وهذا الكشف القلبي المأذون به من جهة النبي صلى الله عليه وسلم والشرع بعامة، هو الذي يفتقر إليه عند الحاجة في محل البيان، كما أقر صلى الله عليه وسلم معاذاً رضي الله عنه – حين فوضه إلى اليمن قاضياً – على تصرفه برأيه،(25) واجتهاده فيما يسند إليه البيان فيه مما لم يرد فيه كتاب ولا سنة.

وأما غير الصحابة رضي الله عنهم من الناس بعامة، فمنهم من يتاح له كشف غوامض الأمور ودقيق المسائل، بما يجري على قلبه من رياضة العبادة والمراقبة والرسوخ في الذكر، وقيل في ذلك: اقربوا من أفواه المطيعين، واسمعوا منهم ما يقولون، فإنهم تتجلى لهم أمور صادقة، وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: (الصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء)،(26) ومن معه نور وبرهان وضياء، كيف لا يعرف حقائق الأشياء من فحوى كلام أصحابها، ولا سيما الأحاديث النبوية، فإنه يعرف ذلك معرفة تامة، لأنه قاصد العمل بها، فتتساعد في حقه هذه الأشياء مع الامتثال ومحبة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، حتى إن المحب يعرف من فحوى كلام محبوبه مراده تلويحاً لا تصريحاً:

والعين تعرف من عيني محدثها
إن كان من حزبها أو من أعاديها
إنارة العقل مكشوف بطبع هوى
وعقل عاصي الهوى يزداد تنويراً

وفي الحديث الصحيح: (لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي عليها)،(27) ومن كان توفيق الله له كذلك، فكيف لا يكون ذا بصيرة نافذة ونفس فعالة، وإذا كان الاثم والبر في صدور الخلق له تردد وجولان، فكيف حال من الله سمعه وبصره وهو في قلبه، وقد قيل: الإثم حواز القلوب، فالحديث الصدق تطمئن إليه النفس، ويطمئن إليه القلب، وأيضاً فإن الله تعالى فطر عباده على الحق، فإذا لم تستحل الفطرة شاهدت الأشياء على ما هي عليه، فأنكرت منكرها، وعرفت معروفها، فالحق أبلج لا يخفى على فطن، فإذا كانت الفطرة مستقيمة على الحقيقة منورة بنور القرآن، تجلت الأشياء على ما هي عليه في تلك المزايا، وانتفت عنها ظلمات الجهالات، فرأت الأمور عياناً مع غيبها عن غيرها.

وفي السنن والمسند وغيره، عن النواس بن سمعان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً، وعلى جنبتي الصراط سوران، وفي السورين أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وداع يدعو على رأس الصراط، وداع يدعو من فوق الصراط، والصراط المستقيم هو الإسلام، والستور المرخاة حدود الله، والأبواب المفتحة محارم الله، فإذا أراد العبد أن يفتح باباً من تلك الأبواب ناداه المنادي، يا عبد الله لا تفتحه فإنك إن فتحته تلجه، والداعي على رأس الصراط كتاب الله والداعي فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مؤمن).(28)

وإذا كان القلب معموراً بالتقوى، انجلت الأمور وانكشفت، بخلاف القلب الخرب المظلم، فالمؤمن ينطق بالحكمة المطابقة للحق، وإن لم يسمع فيها بالأثر، فإذا سمع فيها بالأثر كان نوراً على نور، فالإيمان الذي في قلب المؤمن يطابق نور القرآن والإلهام القلبي تارة يكون من جنس القول والعلم، والظن، أن هذا القول كذب، وأن هذا العمل باطل، وهذا أرجح من هذا، أو هذا أصوب. وأيضاً، فإذا كانت الأمور الكونية قد تنكشف للعبد المؤمن لقوة إيمانه يقيناً وظناً، فالأمور الدنيوية كشفها له أيسر بطريق الأولى، فإنه إلى كشفها أحوج، فالمؤمن تقع في قلبه أدلة على الأشياء لا يمكنه التعبير عنها في الغالب، فإن كل أحد لا يمكنه إبانة المعادلة القائمة بقلبه، فإذا تكلم الكاذب بين يدي الصادق عرف كذبه من فحوى كلامه، فتدخل عليه نخوة الحياء الإيماني فتمنعه البيان، ولكن هو في نفسه قد أخذ حذره منه، وربما لوح أو صرح به خوفاً من الله وشفقة على خلق الله ليحذروا من روايته أو العمل به، وكثير من أهل الإيمان والإلهام يلقي الله في قلبه أن هذا الطعام حرام، وأن هذا الرجل كافر أو فاسق من غير دليل ظاهر، بل بما يلقي الله تعالى في قلبه، وكذلك بالعكس يلقي الله في قلبه محبة لشخص، وأنه من أولياء الله، وأن هذا الرجل صالح، وهذا الطعام حلال، وهذا القول

صدق، فهذا وأمثاله لا يجوز أن يستبعد في أولياء الله المؤمنين المتقين(29)، وقصة الخضر مع موسى عليه السلام هي من هذا الباب وان الخضر علم هذه الأحوال المعينة بما أطلعه الله عليه، كعلم الراسخين من أهل المعرفة الربانية في حقيقة المتشابه من الأمور، عندما ينزعون إلى حله أو تحريمه استدلالا بما كشفه يقين قلوبهم العامرة بالخوف والخشية، وبما هدوا إليه من نور بصائرهم، وبما اسعدهم تحريه والتيقظ به من العلم، الذي يوافق به قولهم الحق، فيكونون هم العلماء بهذا الحكم، وغيرهم يكون الأمر مشتبها عليهم.(30)

وإن ما ينزع إليه هؤلاء الملهمون من الأحكام في المتشابهات أو الروايات غير المسندات، لهو امتثال لما أنيط بهؤلاء الراسخين في العلم من المسؤوليات (31)، وإن من أشد هذه المسؤوليات وطئاً، الحكم بالوضع على ما له أصل من الروايات، أو إثبات ما نقل عن أهل الحديث أنه موضوع من الأحاديث،(32) لأن في هذا استخراجاً للحق عن موارده، فكيف يصير الحديث تبعاً لميل قلب من يزعم الإلهام ويدعيه، هذا والشرع يقضي بأن الإلهام (ليس مما يصلح الاستناد إليه في الدين، ففي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لم يبق من النبوة إلا المبشرات، قالوا: وما المبشرات؟ قال الرؤيا الصالحة، وورود نحوه من حديث جماعة من الصحابة وفيه حجة على أنه لم يبق مما يناسب الوحي إلا الرؤيا)؟(33) ونعلم بأن الإلهام، دون ما تبلغه الرؤيا من الحجة والبيان، هذا مع أنه قد تؤهل الرياضة صاحبها لأن يقع له في يقظته ما يقع له في نومه، فيكون الإلهام هنا مؤثراً ومستأنساً به كالرؤيا التي غاية القول فيها وقصارى الاحتجاج بها التبشير كما ورد، فهي إن قام بها ما يحرزها عن عمل الشيطان، لا تصلح أن تكون حجة شرعية صرفة، وإنما هي ظفر للمتوسم بها يحسن الإمداد به إن وافقها الشرع في نص من نصوصه، كما ثبت عن ابن عباس: (أنه كان يقول بمتعة الحج لثبوتها عنده بالكتاب والسنة، فرأى بعض أصحابه رؤيا توافق ذلك فاستبشر ابن عباس رضي الله عنهما).(34)

ورياضة العابد وإمداد قلبه له بالملكات النفسانية تؤهله أيضاً لأن ينكر ما لا يجوز أن يكون من كلام النبوة، وقد قيل: الحديث المنكر يقشعر له جلد الطالب، وينفر منه قلبه في الغالب، غير أن ما تمدنا به هذه الملكات النفسانية لا يكاد يركن إليه، حتى تصدر من عالم حاذق ذي بصيرة وتمكن أتى على الحديث حفظاً، ونال في نقد مروياته الإمامة والجلالة، فتوقى في حكمه على الحديث ما يلزمه توقيه فيه، قال ابن رجب: (كانوا يعرفون الكلام الذي يشبه كلام النبي صلى الله عليه وسلم من الكلام الذي لا يشبه كلامه، وقال ابن أبي حاتم عن أبيه، تعلم صحة الحديث بعدالة ناقليه، وأن يكون كلاماً يصلح أن يكون مثل كلام النبوة).(35)

قال الشيخ الإمام أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي: (ذهب قوم من زنادقة الباطنية إلى سلوك طريق تلزم منه هدم الأحكام الشرعية فقالوا: هذه الأحكام الشرعية العامة إنما يحكم بها على الأغبياء والعامة، وأما الأولياء وأهل الخصوص فلا يحتاجون إلى تلك النصوص، إنما يراد منهم ما يقع في قلوبهم، ويحكم عليهم بما يغلب على خواطرهم، وقالوا: وذلك لصفاء قلوبهم عن الأكدار، وخلوها عن الأغيار، فتتجلى لهم العلوم الإلهية والحقائق الربانية، فيقفون على أسرار الكائنات، ويعلمون أحكام الجزئيات، فيستغنون بها عن أحكام الشرائع الكليات، كما اتفق للخضر، فإنه استغنى بما تجلى له من العلوم، عما كان عند موسى من تلك الفهوم، وهذا القول زندقة وكفر، يقتل قائله ولا يستتاب، لأنه من إنكار ما علم من الشرائع، فإن الله تعالى قد أجرى سنته، وأنفذ حكمته، بأن أحكامه لا تعلم إلا بواسطة رسله السفراء بينه وبين خلقه، وهم المبلغون عنه رسالته وكلامه، المبينون شرائعه وأحكامه، اختارهم لذلك وخصهم بما هنالك، وعلى الجملة فقد حصل العلم القطعي، واليقين الضروري، وإجماع السلف والخلف على أن لا طريق لمعرفة أحكام الله تعالى، التي هي راجعة إلى أمره ونهيه، ولا يعرف شيء منها إلا من جهة الرسل، فمن قال: إنه يأخذ عن قلبه، وان ما يقع فيه هو حكم الله تعالى وانه يعمل بمقتضاه، وانه لا يحتاج مع ذلك إلى كتاب ولا سنة، فقد أثبت لنفسه خاصة النبوة )،(36) وقال العلامة الشيخ علي سلطان محمد القاري: (لا اعتبار لمكاشفات الأوليات، ومحاضرات الأصفياء، بحيث يعتمد عليها بالكلية في الأمور الشرعية، أو في الأطوار الحقيقية، فإن الإنسان ما دام في هذه الدار المشوبة بالأكدار، لا تصفى له الأسرار، ولا تتجلى له الأنوار، بخلاف الأنبياء الأبرار والرسل الكبار).(37)

## المبحث الثالث

## الحكم على الحديث من جهة الإلهام عند المحدثين

لم يأخذ الإلهام وما في بابه من المعارف القلبية والوجدانية – بعامة – موضعاً في صناعة المحدثين النقدية، فلم يعدوه نوعاً من أنواع علوم الحديث الاصطلاحية، ولم يستدرك به أحد ممن تعقب بعض أمهات المصادر في علوم

الحديث،(38) وقد رأيت أن إنحسار هذا المصطلح – وهو الإلهام وما في بابه – في اللسان النقدي عند المحدثين مرجعه أن علم الحديث عند أهله يعد من العلوم الإجرائية النقدية،(39) التي لا معول فيها إلا على ما ينهض من القرائن والصفات الإسنادية، ولا يتسع ما كان هذا نطاق البحث فيه إلا لما يسعد الناقد بتحقيقه والظفر به من معرفة ما يلزم في تصحيح الحديث أو تضعيفه أو الحكم عليه بالوضع وفق المصطلح عليه في أداء المحدثين، فلا مسوغ، يتسع له عمل المحدث في هذه المرحلة النقدية في التصحيح أو التضعيف للمكاشفات والأخلاط القلبية.

وقد نص الكبار من أئمة الحديث على أنه لا عبرة بالتصحيح الكشفي عند المحدثين،(40) وأبطلوا الاستناد إلى غير قواعد المحدثين في إثبات الحديث أو رده، فلا يجوز أن يرجع الناقد إلى نفسه، وإلى الفيض الإلهي المتجدد والفتح الرهين عند وقته بالرجاء، وأنه عساه أن تأتيه وجوه من المعارف واللمحات العرفانية التي تمر عليه بعيد الغلق.

أما ما ورد في كلام بعض أعلام أئمة المحدثين من تعرض قلوبهم لنورانية الأحاديث، أو ما يحكمون به على ما لا يقبله ذوقهم الفني المعلل مما لا يصلح أن يكون من كلام النبوة، فغاية القول فيه: إن ممارسة المحدثين للبراهين النقدية، والقواطع النقلية، قد اكتسبوا بها لازمة منهجية سلكوا بها نحو التأصيل المنضبط في معرفة الحديث وتمييز رواياته، وذلك لأنهم يرون أن العلم هو ما جاء به الدليل، والنافع منه ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، فهو أعلم الخلق بما ينفعهم، وإن حديث النبي صلى الله عليه وسلم، لتعيه قلوبهم قبل عقولهم، ويحيط به حسهم وذوقهم، قبل علومهم ومعارفهم النقدية، ذلك أن الله تعالى يربط على قلب العالم فلا يزل عن داعية الهدى فيما يسنده الله تعالى إليه من معرفة الحق وتبيينه والدعوة إليه، فحظ القلب من العلم، ما يربط الله تعالى عليه، بسبب من خشية الله والتعظيم لهدي نبيه صلى الله عليه وسلم، وهذا العلم هو ما يتوقف السمع عليه،(41) وقد يعرض لهذه القلوب واردات تصدها عن معرفة الحق واستجلاء طريقه، وهذا هو الهدى الذي يضل من يتخذه علماً، ويكون آخذاً بما يدل على فسقه، وذلك في ميل نفسه إلى ما تستلذه من الشهوات من غير داعية الشرع، وقد رد حديث من غلب عليه الفسق، وردت شهادته (كمن اعتقد أن الإلهام حجة موجبة للعلم، لأن اعتقاده ذلك يمكن تهمة الكذب)،(42) ورد الشهادة دليل عدم الاعتبار، وإن ما يمكن تصوره من ضابط تتزن به النظرة النفسية الوجدانية في الحديث عند المحدثين، هو أن كمال العقل عندهم العلم بوجوب التحرز من مخاطر ما يرد من الخواطر، حتى وإن كان منها ما لا ينفك العاقل منه.

فالحكم على الحديث يدخل في علوم الدراية، وقد جرى أهل الحديث في ذلك على ثلاثة مناح:

أ- نقد الحديث نقداً أولياً نقلياً، وذلك بمعرفة ما يؤدي إليه ظاهر حال الراوي جرحاً وتعديلاً، وهذا المنحى من النقد لا يتسع لغيره من مناحي النقد غير المباشر، بمعنى أن القول فيه بداع من الإلهام والوجدانيات، والمعاني التي تشيع في نفس الناقد، أو ما يعرض من الخواطر العرفانية، والموجودات الإلهامية، أقول: إن ذلك كله باطل، والقول فيه غير متجه عند المحدثين، ولا مساك للعمل بغير ما يفرضه هذا المنحى النقدي المباشر من الأحكام التي أصل لها علم الدراية بأصوله وقواعده المنهجية التي تستند إلى مقولات الأئمة النقدية المصنفة في كتب الرجال.

ب- نقد الحديث بسبر طرقه والكشف عن مخارجه، وتمييز ما كان من روايات الحديث أصولاً نزلت على شرط إمام، وما كان منها متابعات أو شواهد واعتبارات، يسلك الناقد بالفحص عن أسانيدها ومتونها إلى معرفة تمام الضبط من خفته، وتمييز الشذوذ عن النكارة، ومتابعة أوهام الرواة وأخطائهم، وتحديد الجهة التي يضعف الراوي منها ومعرفة غير ذلك من أبواب النقد عند المحدثين، وليس في هذا المنحى النقدي أيضاً سعةٌ لغير القواعد المباشرة في النقد فهو كسابقه من حيث مجرياتُه النقدية المعول بها على قواعد علمي الرواية والدراية المنصوص بها عند المحدثين.

ج- نقد الحديث بغير ما يظهر من حال الرواة، أو ما يكون من الأحوال الإسنادية التي لا يتعامل معها الناقد تعاملاً نقلياً مباشراً، وإنما يصير في تعامله مع الخفي من هذه القرائن إلى حذقه ورسوخه في النظر النقدي المبنى على أسس توسعية فنية ذوقية، غير معللة في كثير من الصور الإجرائية لهذا النوع من النقد، حتى قيل إن من ادعى تمييز الخطأ وكشف هذا النوع من العلل الخفية متخرص بما لا علم له به، ومدع علم غيب لا يوصل إليه، وهذا القول قد شاع على السنة الكبار من النقاد، وذلك فيما نقل عن بعضهم من أن هذا النوع من النقد هو أقرب إلى الكهانة والعرافة لغموض أسبابه وخفاء طرائقه، فهو معرفة نفسية وجدانية، وفي هذا يقول عبد الرحمن بن مهدي: (معرفة الحديث إلهام، فلو قلت للعالم بعلل الحديث، من أين قلت هذا؟ لم يكن له حجة).(43)

ونقل عن أبي حاتم ما يشبه هذا، (قال عبد الرحمن بن أبي حاتم: سمعت أبي رحمه الله يقول: جاءني رجل من جلة أصحاب الرأي من أهل الفهم منهم، ومعه دفتر، فعرضه علي، فقلت في بعضها: هذا حديث خطأ، قد دخل لصاحبه حديث في حديث، وقلت في بعضه: هذا حديث منكر، وقلت في بعضه: هذا حديث كذب، وسائر ذلك أحاديث صحاح، فقال لي: من أين علمت أن هذا خطأ، وهذا باطل، وأن هذا كذب؟، أخبرك راوي هذا الكتاب بأني غلطت وأني كذبت في حديث كذا؟ فقلت: لا ما أدري هذا الجزء من رواية من هو؟ غير أني أعلم أن هذا خطأ، وأن هذا الحديث باطل، وأن هذا الحديث كذب، فقال، تدعي الغيب؟ قال: قلت: ما هذا ادعاء الغيب، قال: فما الدليل على ما تقول؟ قلت: سل عما قلت من يحسن مثل ما أحسن، فإن اتفقنا علمت أنا لم نجازف، ولم نقله إلا بفهم، قال: من هو الذي يحسن مثل ما تحسن؟ قلت: أبو زرعة، قال: ويقول أبو زرعة مثل ما قلت؟ قلت: نعم، قال: هذا عجب، فأخذ فكتب في كاغذ ألفاظي في تلك الأحاديث، ثم رجع إلي وقد كتب ألفاظ ما تكلم به أبو زرعة في تلك الأحاديث، فما قلت: إنه باطل، قال أبو زرعة: إنه كذب، قلت: والكذب والباطل واحد، وما قلت إنه كذب، قال أبو زرعة: باطل، وما قلت: إنه منكر، قال: هو منكر، وما قلت: إنه صحاح، قال أبو زرعة: هو صحاح، فقال: ما أعجب هذا، تتفقان في غير مواطأة فيما بينكما، فقلت: إنا لم نجازف وإنما قلنا بعلم ومعرفة قد أوتينا، والدليل على صحة ما نقوله: أن ديناراً نبهرجاً يحمل إلى الناقد، فيقول: هذا دينار نبهرج، ويقول لدينار: هذا جيد، فإن قيل له: من اين قلت: إن هذا نبهرج؟ هل كنت حاضراً حين بهرج هذا الدينار؟، قال: لا، فإن قيل له: فأخبرك الرجل الذي بهرجه ؛ اني بهرجت هذا الدينار ؟، قال: لا، قيل: فمن أين قلت: إن هذا نبهرج؟ قال، علما رزقت، وكذلك نحن رزقنا معرفة ذلك).(44)

وقد نبه الحافظ السخاوي إلى معنى هذا النقد الذوقي أنه أمر يهجم على القلب، أو هيئة نفسانية لا تدفع في قوله: (والتعليل(45) أمر يهجم على قلوب هؤلاء لا يمكنهم رده، وهيئة نفسانية لا معدل لهم عنها، ولهذا ترى الجامع بين الفقه والحديث، كابن خزيمة والاسماعيلي والبيهقي وابن عبد البر لا ينكر عليهم، بل يشاركهم ويحذو حذوهم. وربما يطالبهم الفقيه والأصولي العاري عن الحديث بالأدلة)(46)، أو بالتحقيق وجدت أن كلام السخاوي في جعل معرفة الحكم على الحديث – من جهة تحديد علة فيه – هيئة نفسانية وخواطر وجدانية، قلت: وجدت أن ذلك لا يستفاد من مجموع كلام النقاد، ولا يشهد له علم العلل بوجه عام، فهذا الكلام قد يتنزل في مواضع مخصوصة بحسب مقتضى الحال المتعرضة للنقد، أما تعميمه وإطلاقه عن قيود علم مصطلح الحديث، فهذا ما يجب رسم حدود له ضابطة للمعطيات المراد تحقيقها، ومع أن هذا الأمر قد بقي بالجملة من قبيل التصورات(47) الذهنية عند الفئة العالية من النقاد، إلا أن هناك نقولات تدل على ما ظفر به هؤلاء الأئمة من قرائن أحسوا بها، وكانت موضع اتفاقهم، وقد قال ابو عبد الله بن منده: (إنما خص الله تعالى بمعرفة هذه الأخبار نفرا يسيراً من كثير ممن يدعى علم الحديث، فأما سائر الناس ممن يدعي كثرة كتابة الحديث، أو متفقه في علم الشافعي وأبي حنيفة، أو متبع كلام الحارث المحاسبي والجنيد وذي النون وأهل الخواطر، فليس لهم أن يتكلموا في شيء من علم الحديث، إلا من أخذه عن أهله وأهل المعرفة به، فحينئذ يتكلم بمعرفته)،(48) وليست هذه المهارة النقدية المكتسبة بالتوفيق الرباني الصرف، بدعاً من الحال والقول، بل هي آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم، ووهبوا المعارف الواسعة، فهذا ابو زرعة يقول: (نظرت في نحو من ثمانين ألف حديث من حديث ابن وهب بمصر، ما أعلم أني رأيت له حديثاً لا أصل له)،(49) وهذا ابن مهدي يلفت إلى معنى دقيق خاص من معاني النقد العالية بقوله: (إنكارنا الحديث عند الجهال كهانة )،(50) وهذا المعنى قد أعرب عنه الحافظ ابن كثير بقوله في أثناء تعريفه للعلل – التي هي في جملة من صورها نوع من الأداء الذاتي عند الناقد البصير:- (هي فن خفي على كثير من علماء الحديث، حتى قال بعض حفاظهم: معرفتنا بهذا كهانة عند الجاهل)،(51) وعلى هذا يمكن تخريج كلام النقاد؛ إذ إن كل علم هو كالعرافة والسحر بالنسبة لمن يجهله، وليس الأمر كما تبين لنا من وجوه قاطعة جامعة مانعة، مجرد موجودات وخواطر يفزع إليها ناقد في صومعته، ولا مكاشَف في يقظته، بل هي المعرفة المولّدة عن منهجية تفصيلية، شاملة في فروعها، دقيقة في مسلكها، فهذه الجوامع النقدية، التي يمارس فيها النقد بلغة عالية في كعبها، ككتب السؤالات، ليست مجرد فيوض الهية، وخواطر عرفانية، وإنما هي أسئلة، صدرت عن رجال من أهل الدراية الحديثية، لتصيب سهماً وافراً من إجابة عالم ينظر بنور ربه، ويحكم بسلطان علمه وغلبة فهمه، فالترمذي يسأل شيخه الإمام البخاري، والبرذعي يسأل أبا زرعة، وعبد الله بن أحمد يسأل أباه، والسهمي والبرقاني يسألان الدارقطني، وابن أبي حاتم يسأل أباه، فليت شعري هل نسمي إجابات هؤلاء الأئمة كشفاً وإلهاماً، أم هي الحجة والبرهان الذي خفي أمره حتى على من سألوا كالترمذي مع أستاذه البخاري وابن أبي حاتم مع أبيه، وغير هؤلاء؟

وإذا انعمنا النظر في إحالة أبي حاتم على أبي زرعة في ذلك الشاهد الذي روينا، حيث تواطأت أحكامهما في لازمة منهجية، قوامها العلم والفهم، والإحاطة بأصول وقواعد متداولة بين هذه الطبقة من الراسخين في النقد، فلو كان الأمر محض إلهام وخاطراً عبر القلب بالرياضة والمخاطبة السرية، لما اتفقت كلماتهم النقدية، بل إن من المعروف لدى أهل الإلهام أن بينهم سباقاً، يحرص كل واحد منهم على أن يعدو على كشف غيره.

وبعد هذا كله فإننا نقرر الحقيقة التي إليها يرجع أمر النقد كله في الحكم على الحديث، وهو كما قال الحاكم ابو عبد الله: (والحجة فيه عندنا الحفظ والفهم والمعرفة لا غير)(52)، وكما قال في موضع آخر من كتابه: (وليس لهذا العلم عون أكثر من مذاكرة أهل الفهم والمعرفة، ليظهر ما يخفى من علة الحديث).(53)

ويؤكد ابن رجب أن نقد الحديث تصحيحاً أو تضعيفاً، معرفة وممارسة، ومذاكرة، فيقول: (ونحن نذكر من هذا العلم كلمات جامعة مختصرة يسهل بها معرفته وفهمه لمن أراد تعالى به ذلك، ولا بد لهذا العلم من طول الممارسة، وكثرة المذاكرة، فإذا عدم المذاكر به، فليكثر طالبه المطالعة في كلام الأئمة العارفين كيحيى القطان، ومن تلقى عنه كأحمد وابن المديني، فمن رزق مطالعة ذلك وفهمه، وفقهت نفسه فيه، وصارت له فيه قوة نفس وملكة، صلح له أن يتكلم فيه).(54)

يقول ابن كثير في اختصار علوم الحديث: (وإنما يهتدي إلى تحقيق هذا الفن الجهابذة النقاد، يميزون بين صحيح الحديث وسقيمه، ومعوجه ومستقيمه، فمنهم من يظن، ومنهم من يقف، بحسب مراتب علومهم وحذقهم، واطلاعهم على طرق الحديث، وذوقهم حلاوة عبارة الرسول صلى الله عليه وسلم التي لا يشبهها غيرها من ألفاظ الناس، فمن الأحاديث المروية ما عليه أنوار النبوة، ومنها ما وقع فيه تغيير لفظ أو زيادة باطلة يدركها البصير من أهل هذه الصناعة).(55)

## خاتمة الدراسة

تشتمل هذه الخاتمة على نقاط هذه الدراسة وهي:

1. التعريف بالإلهام وما في حكمه من المعارف القلبية لغة واصطلاحاً وفي العرف وعند الصوفية.
2. بيان أن الحاجة إلى نقد ظاهرة الإلهام في الحكم على الروايات مردها أن هناك صوراً من الإلهام المقبول المبني على أساس من التفوق في الأداء النقدي عند الأئمة من أهل الحديث الذين حصلت لهم بكثرة محاولة ألفاظ النبي صلى الله عليه وسلم، هيئة نفسانية وملكة ربانية يعرفون بها ما يجوز أن يكون من ألفاظ النبوة وما لا يجوز.
3. أثر المعارف القلبية في الحكم على المعقولات والمنقولات بصفة عامة.
4. الحكم على الحديث من جهة الإلهام القلبي وبيان فساد كثير من الصور النقدية القائمة على دعوى الفتح الرباني والرياضات النفسية، وغير هذه المناحي التي يبني عليها مدعو الإلهام وأصحاب الخواطر العرفانية.

## الهوامش

(*) قلت: هذا نص قوله تعالى: [إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون]، 9/الحجر.

(1) صحيح الإمام مسلم، في المقدمة، باب بيان أن الإسناد من الدين وأن الرواية لا تكون إلا عن الثقات، وأن جرح الرواة بما فيهم جائز، بل واجب، وأنه ليس من الغيبة 45/1، 46.

(2) الحنبلي، ابن رجب، شرح علل الترمذي، ، ط1، 165/1.

(3) الحنبلي، ابن رجب، شرح علل الترمذي 169/1.

(4) انظر مثالاً ابن عربي، الفتوحات المكية في معرفة الأسرار المالكية والملكية، 358/1، 361، 45/2، 46.

(5) انظر الأزهري، تهذيب اللغة، 318/6، 319.

(6) انظر الجرجاني، كتاب التعريفات، ط1، ص35.

(7) السمرقندي، ميزان الأصول في نتائج العقول (المختصر)، 677، 678.

(8) الدبوسي الحنفي، تقويم الأدلة في أصول الفقه، ص392.

(9) السمرقندي، ميزان الأصول، ص679.

(10) الحسيني، المعرفة عند الحكيم الترمذي، ص149.

(11) الغزالي، إحياء علوم الدين، 8/3.

(12) الغزالي، الإحياء 112/4، بتصرف.

(13) قلت، استعمل عبارة الكشف، والمراد الإلهام؛ إذ الكشف في عرف المحدثين من أهل السنة لا يكون إلا سماعاً أو مشاهدة في حال اليقظة.

(14) ابن عربي، الفتوحات المكية، 39/2،

(15) الشوكاني، إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول، ط1، 415/1.

(16) نقله الشوكاني في ارشاد الفحول، 416/1.

(17) متفق عليه، ولفظ البخاري: لقد كان فيمن قبلكم من بني إسرائيل رجال يكلمون من غير ان يكونوا أنبياء فإن يكن

من أمتي منهم أحد فعمر 1349/3، رقم 3486، وفي مسلم 864/4، رقم 2398.

(18) الشوكاني، إرشاد الفحول، 416/1.

(19) الغزالي، الإحياء، 3/2، ابن قدامة المقدسي، مختصر منهاج القاصدين، ص148، قلت: شائع عند كثير من العلماء استعمال مصطلح الكشف، وبين أن ما يدور حوله المعنى هو الإلهام، فيكون استعمال الكشف هنا تعبيراً أغلبياً.

(20) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، 19/42.

(21) هذا استعمال صوفي للعبارة، وهو فيما أراه حسن في محله.

(22) سبق تخريجه، هامش 17.

(23) قيل في معنى السكينة انها العقل، وقيل له سكينة إذا سكن عن الميل إلى الشهوات وعلى ذلك دل قوله تعالى: (وتطمئن قلوبهم بذكر الله)، انظر الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص237.

(24) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، 49/44.

(25) قلت: يمكن أن يكون بعض الرأي نوعاً من الكشف الذي تفضي إليه استقامة القلب ويدل عليه صدق التحري عن مراد الله تبارك وتعالى.

(26) أخرجه مسلم واللفظ له من حديث ابي مالك الأشعري، 203/1، رقم 223.

(27) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة، 340/11، 341، رقم 6502.

(28) أخرجه أحمد في المسند من حديث النواس بن سمعان، رقم 17671، والترمذي، رقم 2859، وفي السنن الكبرى للبيهقي، رقم 11233، والحاكم في المستدرك، رقم 245.

(29) ابن تيمية، المجموع، 19/45، بتصرف.

(30) هذا نص قوله صلى الله عليه وسلم في المتشابهات: (لا يعلمهن كثير من الناس).

(31) ومن جملة ذلك التنبيه على ما يشتهر من الأحاديث على الألسنة مما ألفه الطبع، وليس له أصل في الشرع.

(32) قلت: تدور عبارات المحدثين النقدية على معنى أن الحكم على الحديث بالوضع أو الصحة أو غيرهما إنما هو بحسب الظاهر للمحدثين باعتبار الإسناد أو غيره، لا باعتبار نفس الأمر والقطع، لجواز أن يكون الصحيح مثلاً باعتبار نظر المحدث موضوعاً أو ضعيفاً في نفس الأمر، وبالعكس، انظر العجلوني، كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، 8/1.

(33) المعلمي اليماني، القائد إلى تصحيح العقائد، ص80.

(34) قاله ابن رجب، شرح علل الترمذي، 163/1.

(35) المرجع السابق.

(36) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 295/6، 236/13، 29/14.

(37) المقدمة السالمة في خوف الخاتمة، علي بن سلطان بن محمد القاري، المكتب الإسلامي، علق عليها وخرج أحاديثها مشهور حسن سلمان آل سلمان، 16، 17.

(38) انظر – مثالاً لا حصراً – تعقب الإمام سراج الدين البلقيني في محاسن الاصطلاح وتضمين كتاب ابن الصلاح، ص197.

(39) أي انه علم يستند في أحكامه إلى ما يجريه الناقد من فحص لأحوال الرواة، وتثبت من الاتصال والبراءة مما يظهر أو يخفي من صور الانقطاع وغير ذلك.

(40) انظر لزاماً تعليق الأستاذ العلامة عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله تعالى على كتاب المصنوع في معرفة الحديث الموضوع المشتهر بالموضوعات الصغرى للعلامة علي القاري، ص141، 142. ومما ذكره الاستاذ أبو غدة رحمه الله في هذا المقام ما علق به على حديث رقم 232: (كنت كنزاً لا أعرف، فأحببت أن أعرف، فخلقت خلقاً فعرفتهم بي فعرفوني)، حيث قال: قال الإمام المفسر الألوسي في روح المعاني عند تفسير قوله تعالى في سورة الذاريات: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)، وقد جاء، [كنت كنزاً مخفيا فأحببت أن أعرف، فخلقت الخلق لأعرف]، ذكره بهذا اللفظ سعد الدين الفرغاني، في (منتهى المدارك)، وذكره غيره كالشيخ الأكبر في (الباب المائة والثمانية والتسعين) من (الفتوحات) بلفظ آخر، وتعقبه الحفاظ، فقال ابن تيمية: إنه ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يعرف له سند صحيح ولا ضعيف، وكذا قال الزركشي والحافظ ابن حجر وغيرهما، ومن يرويه من الصوفية معترف بعدم ثبوته نقلاً، ولكن يقول: إنه ثابت كشفاً، وقد نص على ذلك الشيخ الأكبر في الباب المذكور، وأضاف الأستاذ أبو غدة في تعليقه: ويشير الإمام الألوسي رحمه الله تعالى بهذا إلى أنه لا عبرة بالتصحيح الكشفي عند المحدثين، وهو كذلك، كما سيأتي تعليقاً على الحديث/414 (يس لما قرئت له)، فانظره فإنه مما يستفاد، ويزيد في لزوم التمسك بأقوال الحفاظ المحدثين العارفين بهذا الشأن، فهم أصحاب الحق والمرجع المتبع في التصحيح والتضعيف، بما سنوه من قواعدهم لحفظ سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، من أن يدخل عليها ما ليس منها.

(41) ذلك أن مبنى الشرع وقوام الخطاب التكليفي على العلوم السمعية وهي العلوم النقلية التي لا يرد عليها العقل إلا في مظان محدودة.

(42) انظر تحقيق محمد محيي الدين بن عبد الحميد على توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار للصنعاني، 206/2.

(43) الحاكم النيسابوري، معرفة علوم الحديث، ط2، ص113.

(44) أبو محمد الرازي التميمي، الجرح والتعديل، ط1، المقدمة، 349، 350.

(45) قلت: هذا أحد المعاني التي يتسع لها التعليل في مجالاته النقدية، وهو – بحسب ما يظهر من كلام السخاوي – اختياره ومذهبه، فيما يقوم أمر كثير من صور التعليل عليه.

(46) السخاوي، فتح المغيب، شرح الفية العراقي، ط2، 220/1.

(47) قلت: والتعبير بالتصور، من جهة ما يغلب أن يكون من قصور عن تفسير ما يعل به بعض الحديث بعد التفتيش والفحص عن حاله، مما يجعل التعليل قائماً على ما لا يجري عليه أساليب النقد العامة عند المحققين.

(48) قاله ابن رجب في شرحه علل الترمذي، 339/1.

(49) مقدمة الجرح والتعديل لابن أبي حاتم /335.

(50) المرجع السابق، 10/1.

(51) ابن كثير، الباعث الحثيث، شرح اختصار علوم الحديث للشيخ أحمد شاكر، دار المعرفة للنشر والتوزيع، 1987م/63.

(52) معرفة علوم الحديث، ص113.

(53) المرجع السابق، ص60.

(54) ابن رجب، شرح علل الترمذي، 664/2.

(55) ابن كثير، اختصار علوم الحديث ومعه الباعث الحثيث، ص64.

## المصادر والمراجع

ابن عربي، محيي الدين بن علي الطائي، الفتوحات المكية في معرفة الأسرار المالكية والملكية، ط1، قدم له محمد مرعشلي، 1418هـ، دار احياء التراث العربي، بيروت.

ابن كثير، الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، الشيخ أحمد شاكر، دار المعرفة للنشر والتوزيع، 1987.

أبو محمد الرازي، ابن ابي حاتم، الجرح والتعديل، دار احياء التراث العربي، 1952، بيروت.

الحاكم النيسابوري، ابو عبد الله محمد، معرفة علوم الحديث، تحقيق السيد معظم حسين، 1397هـ، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت.

الحسيني، عبد المحسن، 1985، المعرفة عند الحكيم الترمذي، طبعة بيروت.

الحنبلي، ابن رجب، ابو الفرج زين الدين، شرح علل الترمذي، تحقيق همام سعيد، 1987، ط1، مكتبة المنار، الأردن.

السمرقندي، علاء الدين أبو بكر، ميزان الأصول في نتائج العقول (المختصر)، تحقيق محمد زكي عبد البر، وزارة الشؤون والأوقاف الاسلامية، قطر.

الشوكاني، محمد بن علي، ارشاد الفحول الى تحقيق علم الاصول، تحقيق محمد سعيد البدري، 1412هـ، ط1، دار الفكر، بيروت.

الغزالي، ابو حامد، احياء علوم الدين، دار الفكر.

القاري، علي بن سلطان، المقدمة السالمة في خوف الخاتمة، علق عليها وخرج أحاديثها مشهور سلمان، المكتب الاسلامي.

# Inspiration (Ilham) in the Critical Balance of Hadith Scientists

*Tareq Asa'd Helmi Al-Asa'd**

## ABSTRACT

The purpose of this study was to shed light on a feeling aspect of Hadith criticism; an aspect that is often unjustified by the direct cause of Hadith criticism. In applying these causes on narration, they are not subject to any feeling domain in criticism. But these direct causes in criticism are accepted in judging narration without taking into account any indirect considerations.

Some expressions of this feeling aspect in criticism emerged in the uses of some critic imams and their critic choices. But it has no deep-rooted domain, which specifies the accepted cases of application of this kind of criticism, as compared to unacceptable cases. This study is a research attempt, which aims to pursue the artistic feeling trends of the critics, which are mostly unjustified. It also aims to trace those who attribute their judgment of Hadith to their essence and call this an inspiration knowledge.

---

* Department of Human and Social Sciences, Faculty of Sciences and Arts, Hashemite University, Zarqa, Jordan.
Received on 20/10/2003 and Accepted for Publication on 27/5/2004.